بداية ظهور النوادي والجمعيات في الجزائر.

emergence of clubs and associations in Algeria during the french occupation.

عمر بلعربي

طالب دكتوراه، قسم التاريخ جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان.

الملخص:

تعتبر الفترة الممتدة من سنة 1900م إلى ما بعد الثلاثيناث فترة تحول هام في تاريخ الجزائر ونضالها ضد الاحتلال الفرنسي ، حيث شهدت ظهور روافد جديدة للكفاح ضد الاستعمار بعد أن اقتنعت بأن الاعتماد على المقاومة المسلحة غير المنظمة والوسائل العسكرية البسيطة لم يكن كافيا وحده لتحرير البلاد وإجبار سلطات الاحتلال على الرضوخ لمطالب الشعب الجزائري ، فكان من أهم وسائل الكفاح الجديدة التي اعتمدت عليها الحركة الوطنية مع نهاية القرن 19م و بداية القرن 20م الجمعيات و النوادي الثقافية ، الصحافة التي أنشأتها وطورت من نشاطاتها .

الكلمات المفتاحية :

الجزائر ، الاستعمار الفرنسي، النوادي ، الجمعيات الثقافية، الصحافة.

Abstract :

The period extending from the year 1900 AD to the post-thirties is considered an important period in the history of Algeria and its struggle against the French occupation, as it witnessed the emergence of new tributaries to the struggle against colonialism after it was convinced that relying on unorganized armed resistance and simple military means was not sufficient alone to liberate the country and force the authorities The occupation had to yield to the demands of the Algerian people. One of the most important new means of struggle on which the national movement relied at the end of the 19th century and the beginning of the 20th century was the cultural associations and clubs, the press that established and developed its activities.

Keywords:

Algeria; French occupation, cultural associations; clubs, press

مقدمة:

يمكن اعتبار القرن العشرين بمثابة تحول تاريخي في مسار الحركة الوطنية الجزائرية، إذ تمثل هذه المرحلة عمرا جديدا للجزائريين سواء فيما يخص السياسة الفرنسية المنتهجة في الجزائر وكذا وضعية الجزائريين في مختلف الميادين ، حيث شهد هذا التحول ميلاد أو إعادة ميلاد وبعث التراث الفكري ، والحضاري للأمة الجزائرية فعرفت الجزائر النهضة التي برزت بوادرها مع نهاية الحرب العالمية الأولى .

بداية ظهور النوادي والجمعيات في الجزائر

تعتبر الجمعيات والنوادي الثقافية في الجزائر وليدة بداية القرن 20م ، وقد تزامنت مع ظهور حركة الشباب الجزائريين فعلى غرار الجمعيات الثقافية والعلمية التونسية كالخلدونية التي ظهرت سنة " 1896" و الصادقية التي ظهرت كذلك عام " 1905" برزت في الجزائر جمعيات مختلطة أهلية [1]، بالإضافة إلى هذا فإن ظهور هذه الجمعيات في هذا الوقت بالذات يعود بدون شك إلى توفر بعض العوامل المناسبة في بداية هذا القرن ، ويتمثل أساسا حسب علي مراد في وجود الحاكم العام شارل جونار الذي انتهج سياسة تمثلت في تشجيعه للخدمات الاجتماعية وللدراسات العربية ، أما تاريخ بداية هذه الجمعيات فيعود إلى نهاية القرن الماضي ، وذلك بتأسيس أول جمعية تعاونية سنة 1897م ، في مدينة الجزائر تحت رئاسة علي شريف ، إلا أن هذه الأخيرة لم تقم بدورها كما يجب وذلك لعدم مبالاة مجلسها الإداري وبقية أعضائها [2] ، ومما لا شك فيه أن الجزائريون أرادوا اقتفاء الطريق الذي سارت عليه المجموعة الأوربية والاستفادة من التشريع الجديد الذي صدر في 01 جويلية 1901م ، وهو قانون ينظم تأسيس الجمعيات الثقافية والخيرية صدر بفرنسا ، وأصبح ساري المفعول لذا نراهم يندفعون في إقامة وإنشاء الجمعيات بمختلف أنواعها لملء الفراغ الذي أحسوا به والذي كانت تعيشه المجموعة الجزائرية ، ومن هنا جاء ميلاد العديد من الجمعيات الثقافية ، والخيرية والرياضية والتي كانت تظهر بين الحين والآخر ، وقد انتشرت في كل القطر الجزائري مثل مدن الجزائر العاصمة ، تلمسان ، قسنطينة ، عنابة ، جيجل ... [3]

أهم الجمعيات والنوادي التي طهرت قبل الحرب العالمية الأولى:

الجمعية الرشيدية:

وهي أول جمعية حقيقة برزت إلى الوجود سنة 1908م ، فهي جمعية ودادية لقدماء تلاميذ المدارس العربية الفرنسية لمدينة الجزائر ، وقد أسست سنة 1894م ، من طرف السيّد سروي " مدير مدرسة أهلية بنفس المدينة " وقد كانت تعقد سلسلة من المحاضرات الهامة وتساعد على نشر التعليم والأخوة ، كما كان لها فروع في كل أنحاء الجزائر ، وكان فرع الجزائر وحده يضم 251 عضوا سنة 1910م ، وكان من بين أعضائها الدكتور ابن التهامي ، وابن بريهمات [4].

الجمعية التوفيقية:

تأسست عام 1908م ، تحت رآسة ابن التهامي وقد كان هدفها هو جمع أولئك الجزائريين الذين يرغبون في تثقيف أنفسهم ، وتطوير الأفكار العلمية والاجتماعية وقد نظمت سلسلة من المحاضرات العلمية سنة 1911م [5] ، وإذا كانت حركة تأسيس النوادي والجمعيات قد اقتصرت في البداية على المدن الكبرى " الجزائر ، قسنطينة " فإن هذه النوادي سرعان ما أسست فروعا لها في مدن جزائرية أخرى ، كما ظهرت في مدن أقل أهمية فظهرت ودادية العلوم الحديثة في خنشلة ، والجمعية الأخوية في معسكر ، والجمعية الإسلامية في قسنطينة ، والهلال والصادقية ، ونادي الترقي في عنابة .

كما أن ظاهرة تأسيس الجمعيات والنوادي تعدت إطار المدن لتمس حتى بعض القرى فتشكل الإتحاد بتغنيف والتقدم الصهاريجي بجامع الصهاريج [6] ، وقد كانت هذه النوادي والجمعيات وسائل دعاية للشبان الجزائريين لبث

أفكارهم والتعريف ببرنامجهم قبل أن يتمكنوا من إصدار صحفهم الخاصة ، غير أن هذا لا يعني أن هذه الجمعيات والنوادي تخلت عن مهمتها بصدور الصحافة ، فلقد كانت ملتقى للأفكار الحديثة ولبث الوعي الوطني في نفوس الجزائريين ، ولقد كان لها دور كبير خلال فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى " 1900 ، 1914 " فلقد ساهمت مساهمة فعالة في يقظة الجزائر ، ذلك أن زعمائها عملوا على التركيز على التعليم والتحرر والتقدم فقد حاولوا أن يطوروا المجتمع الجزائري ويجعلوه مجتمعا حديثا ، كما أن الأفكار الأوربية قد ساهمت من خلال النوادي في النهضة الجزائرية [7] .

جمعية الطليعة :

أول جمعية رياضية أسسها الشبان وذلك سنة 1895م ، وتكونت من خريجي المدارس الفرنسية من أطباء ومعلمين ، وكان من أبرزهم الدكتور ابن التهامي ومحمد الصالح بن جلول ، أما عن أهدافها فتتلخص في تكوين النشء الجديد تكوينا سليما وإظهار جدارة وقدرة العنصر الجزائري في جميع أنواع الرياضة ، ولعلهم أرادوا بهذا العمل إبراز إمكانية الشبان وقدراتهم الفكرية والجسمية أمام خصومهم الأوربيين وأمام تسلط المستوطنين وتقييد الحياة العامة بالنسبة للعنصر المسلم [8] .

نادي صاح باي :

تأسس عام 1907م في قسنطينة باسم الدراسات الأدبية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية ، كان يرأسه موظف فرنسي يدعى أريب وكذلك ابن الموهوب ومصطفى باش تارزي ، ومحمد ابن باديس وغيرهم [9] ، وقد بلغ عدد أعضاء النادي سنة 1908م حوالي 1700 عضو وكانت له فروع كثيرة في عدد من المدن االجزائرية [10]

أهم النوادي التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى :

الجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين بشمال إفريقيا :

تأسست في 19 مارس 1919م في الجزائر العاصمة والقصد من تكوينها هو الدفاع عن مصالح الطلبة ومساعدة المحتاجين ، وكذلك تأسست بمدينة الجزائر جمعية الأخوة الجزائرية عام 1922م ، مشكلة من السادة الأمير خالد كرئيس لها والدكتور ابن التهامي وبلعربي كنائبان له ، وكان الهدف من تأسيسها هو تحسين أحوال المجتمع الجزائري المادية والمعنوية والفكرية والاقتصادية والسياسية [11] .

بانتهاء الحرب العالمية الأولى عرفت الجزائر تطورا كبيرا في الذهنيات ذلك ان مئات الجزائريين ، بمشاركتهم في الحرب العالمية قد اطلعوا على أفكار جديدة ، وعلى الحياة الأوربية كما أنهم يأملون الحصول على بعض الحقوق السياسية والدينية ، بالإضافة إلى رجوع العديد من الطلاب الجزائريين من المشرق أو تونس ، أين كانوا يواصلون تعليمهم وكان اغلب هؤلاء قد تأثروا بحركة النهضة والإصلاح بدون شك ، وسيعملون على نشر الأفكار الإصلاحية بمختلف الوسائل منها تأسيس الجمعيات والنوادي وفتح المدارس للتعليم [12] .

والحق أن النوادي ساهمت في ظهور الصحافة ، وذلك بإتاحتها للنخبة مجالا للاجتماع وتبادل النقاش ، كما عرفت الصحافة من جهتها بهذه الجمعيات والنوادي نشاطاتها المختلفة ، وكانت واسطة ما بين أعضائها ومن بين أهم النوادي التي ظهرت خلال فترة العشرينات نادي السعادة الذي ظهر سنة 1925م بقسنطينة ، وهو من تأسيس الطيب بن زقين ، واشتهرت تلمسان خلال هذه الفترة بنادي الشبيبة الإسلامية الذي تأسس عام 1921م ، ويذكر أحمد توفيق المدني أن هذا النادي كان خاصا بالكراغلة وكانت عداوة بينه وبين نادي آخر ، لا يذكر اسمه وهو خاص بالعرب الحضر ، ونادي الإتحاد الذي ظهر عام 1932م بقسنطينة ، واشتهرت مستغانم بنادي الإتحاد الأدبي الإسلامي والذي تأسس سنة 1925م ، وكان لهذا النادي توجه وطني فقد كان يلتقي فيه أنصار نجم شمال إفريقيا و النادي الإسلامي ونادي الترقي " للبليدة " ونادي النجاح " سيدي بلعباس " و نادي العمال " لفليب فيل " ونادي الشبان المسلمين " لقالمة " [13] .

إذا كانت فترة العشرينات لم تشهد بروز جمعيات ونواد كثيرة ، فإنها بالمقابل قد شهدت تأسيس أشهر في تاريخ الجزائر الحديث ، وهو نادي الترقي الذي كان له دور أساسي في الحركة الوطنية لكونه شكل منارة ثقافية ومركز إشعاع حضاري ، تأسس في 27 جويلية 1927م ، من طرف أعيان العاصمة وقد بدأ بتنظيم سلسلة من المحاضرات افتتحها الشيخ عبد الحميد بن باديس بمحاضرة بعنوان " الاجتماع والنوادي عند العرب " ومنذ تأسيسه أدى هذا النادي خاصة خلال الثلاثينات دورا ثقافيا وسياسيا بارزا ، على الساحة الجزائرية التي اتخذت من نادي الترقي مقار لها أيضا ، كما كان للنادي مكان للعديد من الاجتماعات واللقاءات التي لها أثر على مسيرة الجزائر وكذلك أيضا على بلدان المغرب العربي، ومن بينها انعقاد المؤتمر الثاني لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين في شهر أوت 1932م [14] .

لقد تطورت الجمعيات والنوادي الثقافية خلال فترة الثلاثينات ، وقد تزامن ذلك مع احتفال فرنسا بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر سنة 1930م ، وتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 05 ماي 1931م ، وقد أدركت الجمعية ومن قبلها الحركة الإصلاحية أهمية الجمعيات والنوادي ودورها في النهضة الوطنية ولذلك عملت عليها التي كانت موجودة من قبل ومن ثم توجيهها توجيها عربيا إسلاميا يتماشى وأهدافها الإصلاحية [15] .

إن الحديث عن الجمعيات والنوادي الثقافية خلال الثلاثينات إنما هو في الحقيقة حديث عن الجمعيات والنوادي الإصلاحية، التي كانت في معظمها تحت نفوذ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أو تتعاطف معها على الأقل، وحول هدف العلماء من تأسيس النوادي الثقافية يوضح أحد التقارير الإدارية : " تشكل النوادي التي تخضع لقانون 1901م، المرحلة الأولى في طريق إنشاء الجمعية الدينية والمدرسة الحرة، ففي إطار النادي تكون الاتصالات سهلة وتحت مظهر الشرعية يمكن عقد الاجتماعات [16] .

مقارنة بالعشرينات فإن الجمعيات والنوادي الثقافية ، شهدت خلال الثلاثينات تطورا كبيرا وتأتي عمالة قسنطينة في المقدمة بعيدا عن عمالتي الجزائر ووهران ، وهذا من حيث عدد الجمعيات والنوادي التي أنشأت بها خلال هذه الفترة ، وفي رأي عمار هلال الذي يعطي قائمة باسم أهم النوادي والجمعيات في الجزائر قبل الحرب العالمية الثانية ، فإن الشرق الجزائري كانت به 43 ، والوسط كانت به 15 ، والغرب الجزائري كانت به 12 ، وأما الجنوب فكانت به 05 [17] .

بلغ عدد الجمعيات خلال الفترة " 1930، 1934 " 11 جمعية أي بمعدل جمعيتين في كل سنة تقريبا ، 04 جمعيات خلال عام 1935م ، و 08 جمعيات خلال سنة 1936م ، و11 جمعية خلال سنة 1937م ، مع العلم أن هذه الإحصائيات تتوقف عند هذه السنة ولذلك فهي لا تعطينا فكرة عن عدد الجمعيات والنوادي خلال السنوات اللاحقة [18] .

خلال العشرينات تأسست جمعية الفتح 1927م ، وكذلك جمعية الإصلاح التي ظهرت بمدينة غرداية في أفريل 1928م ، وفي الثلاثينات برزت جمعيات أخرى منها جمعية الاستقامة بمدينة قالمة سنة 1930م ، والتي قامت بإنشاء مدرسة حرة ونادي ، وبرزت الجمعية الإسلامية لمقاومة الكحول عام 1932 بنادي التقي والتي أسندت رئاستها للشيخ الطيب العقبي كما تأسست الجمعية الخيرية الإسلامية في 1933م ، وهي جمعية بر وإحسان ساهم في تكوينها رجال نادي الترقي بمساعدة بعض أعيان العاصمة ، وكان الهدف منها العمل على إسعاف المعوزين من الأفراد والعائلات ماديا ومعنويا وتربية الأجيال أخلاقيا ومهنيا ، بل تعدت الأعمال الخيرية إلى العلاج المجاني [19] ، كما قامت أيضا بتقديم مساعدات حتى خارج الجزائر ، حيث نجد انها كانت السباقة إلى العلاج المجاني ، كما قامت بتقديم العون لتونس الشقيقة لما أصابتها كارثة طبيعية فأمدتها بعشرة آلاف فرنك قدمت للجمعية الخيرية التونسية [20] ، وفي سنة 1937م ظهرت جمعية الحياة الشهيرة بالقرارة وكان من أهم أعمالها تأسيس مدرسة حرة والتكفل بمعهد الحياة [21] .

حملت هذه الجمعيات والنوادي أسماء تتماشى وعصرها ، كالتوفيقية التي كانت تدل آنذاك على التوفيق ما بين الحضارتين الغربية والإسلامية ، في حين حملت بعد الحرب العالمية الأولى أسماء كانت متداولة بكثرة ، كالإصلاح للدلالة

على حركة الإصلاح التي عرفت انتشارا واسعا حيث الجزائر ، وأدت دورا تربويا بجمعها للتبرعات وتأسيسها للمدارس التي كان يؤمها المئات من التلاميذ ، فجمعية التربية والتعليم بقسنطينة مثلا كانت تشرف على العديد من المدارس [22] .

كما أدت هذه الجمعيات والنوادي دورا سياسيا بمساندتها لمطالب الحركة الوطنية ، وتنديدها بالإجراءات الإدارية المتخذة ضد هذه الأخيرة ، وذلك بتقديمها للعرائض ورفعها للشكاوي وبرقيات الاحتجاج للمسئولين الفرنسيين ، ولطلك فإن ازدياد عدد هذه الجمعيات والنوادي لم يكن ليرضي السلطات الإدارية الفرنسية ، وخاصة أن أماكن الاجتماع كانت توصف بأنها مراكز لمقامة الوجود الفرنسي ، أو أكثر من ذلك بأنها أماكن للهيجان وهو ما يؤكده أحد التقارير بقوله :« إن النوادي التابعة لجمعية العلماء والتي تسمى عادة بنوادي التقدم أو نوادي أصدقاء التربية تصبح أماكن للمقاومة الإسلامية للتوسع الفرنسي ... » [23] .

نظرا للتطور والانتشار الواسعين اللذين عرفتهما هذه الجمعيات والنوادي والتأثير الذي مارسته ، فقد أقدمت الإدارة الاستعمارية في الجزائر على إصدار مرسوم 13 جانفي 1938م للحد من نشاطها [24] .

خاتمة:

رغم التأثير المتواضع للنوادي والجمعيات الثقافية في إرساء دعائم النهضة الجزائرية .إلاّ أنها تمكنت بفضل نشاطاتها المتنوعة من لفت انتباه الجزائريين إلى أهمية العمل الجماعي الوحدوي، و كذا إدراك قيمة التنظيمات الخيرية و الدينية و الثقافية في النهوض بالمجتمع و الرفع من مستوى بنيته الذهنية و الفكرية، و لعل في إشادة " الشهاب " بمجهودات نادي صالح باي في بدايات تأسيسه ما يؤكد على ذلك.نادي صالح باي الذي نعتبره نواة الإصلاح لمجتمعنا الصناعي و الاقتصادي لو دام سائرا على الخطط و المبادئ التي أسس عليها، و لكن أغراض الدخلاء المفسدين زحزحته حتى نسفته و لعل من أهم و أبرز الجمعيات الدينية و التربوية التي أسست في الجزائر و كان لها التأثير الكبير و المباشر في تأسيس البناء النهضوي الجزائري هي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كان لها أبلغ التأثير في تفعيل المشهد الاجتماعي و الثقافي و التربوي والسياسي .

الهوامش:

(1) Ageron (Charles Robert) , histoire de l'Algérie contomeporaine , (1830 – 1871) traduit par issa asfour, office des publication universitaires , Alger ,pp 108, 109.

(2) . بو الصفصاف عبد الكريم : الفكر العربي الحديث والمعاصر ، ج1 ، الطبعة الأولى ، دار الطباعة للنشر والتوزيع ، عين مليلة ، الجزائر ، 2005 ، ص 168 ، عبد الغني حروز : نادي الترقي ودوره في الحركة الإصلاحية بالجزائر " 1927 . 1939 " قسم التاريخ بوزريعة ، الجزائر ، 2007 / 2008 ، ص 28

(3) .صاري أحمد : المرجع السابق ، ص 109 ، بوصفصاف عبد الكريم : الفكر العربي الحديث والمعاصر ، المرجع السابق ، ص 168

(4) . سعد الله أبو القاسم : الحركة الوطنية الجزائرية ، ج2 ، (1900 . 1930) ، الطبعة الثانية ، الشركة الوطنية للنشر والطبع والتوزيع ، الجزائر ، 1983 ، ص 146

(5) .صاري أحمد : المرجع السابق ، ص 113

(6) .سعد الله أبو القاسم : المرجع السابق ، ص ص 146 . 147

(7) .حروز عبد الغني : المرجع السابق ، ص 29

(8) .Chale rober ageron : op.cit. p103

(9) .سعد الله أبو القاسم : المرجع السابق ، ص 145

(10) .حروز عبد الغني : المرجع السابق ، ص 89

(11) .صاري أحمد : المرجع السابق ، ص ص 115 .116

(12) .المدني أحمد توفيق : حياة كفاح ، ج2 ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 ، ص ص 122 . 124 ، بو الصفصاف عبد الكريم : الفكر العربي الحديث والمعاصر ، المرجع السابق ، ص 168

(13) . مراد علي : الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر ، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي ، (1925 . 1940) ، ترجمة يحياتن محمد ، دار الحكمة ، الجزائر ، 1999 ، ص 378

(14) .صاري أحمد : المرجع السابق ، ص ص 117. 118

(15) .صاري أحمد : المرجع السابق ، ص 118

(16) .هلال عمار : أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830 . 1962) ، الجزائر ، 1995 ، ص ص 270 . 283

(17) صاري أحمد: المرجع السابق ، ص 119

(18) مريوش أحمد : الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ، الطبعة الأولى ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ن الجزائر ، 2007 ، ص ص 379 . 389 ،

(19) .المدني أحمد توفيق : المصدر السابق ، ص 260

(20) دبوز محمد علي : نهضة الجزائر وثورتها المباركة ، ج2 ، المطبعة العربية ، الجزائر ، 1977، ص ص 250 . 255

(21) صاري أحمد : المرجع السابق ، ص 121

(22) المرجع نفسه : ص 121

(23) المرجع نفسه ص ص 121 . 122